# الثنائية اللغوية في نيجيريا وموقف الإلوري منها

علي أوكتا أحمد

## مقدمة

تعرّف اللغة بأنها نظام عرفي يحتوي على رموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض.[١] ومن هذا التعريف يستنبط بأنّ اللغة ظاهرة إنسانية وأساس مهم للحياة الاجتماعية، وضرورة من أهم ضرورياتها، حيث هي خير أداة للتفاهم بين الناس ووسيلة لتنمية أفكاره وتجاربه. فهي كائن حيّ ينمو ويتطور كما هو حال الكائنات الحية، ويميل نحو الانقراض أو ينقرض أحيانا.

ووفقا لحكمة الله تعالى في قوله: (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين)،[٢] بني البشر إلى جماعات لغوية متعددة، في عالم اليوم، بعضها محكية محلية على نطاق محدود، وبعضها على نطاق واسع، وبعضها الآخر محكية عالمية. وبما أنه لا يمكن لهذه الجماعات أن تعيش منعزلة عن غيرها تماما لأنّ الله خلق الإنسان وجعله متحركا ومتنقلا، لزمت الجماعات الحركة والتنقل إلتماسا لمقومات الحياة. ومن خلال ذلك يحصل الاحتكاك بين الجماعات اللغوية المختلفة، والذي يؤدي إلى تعلم طائفة لغة طائفة أخرى وبالعكس، أو إلى نشأة ظاهرة الثنائية اللغوية.

وفي هذه الآونة، صارت الثنائية اللغوية ظاهرة شائعة بين الأفراد والمجتمعات، لها أفضلية على أحادية اللغة إذ؛: "إنّ تعلم اللغة الثانية على العموم، يفتح للمتعلم أفقا جديدا نحو الآخر والحياة عامة، كما أنّه ينحي حاجزا حائلا دون التفاهم المتبادل، ويكفكف غلواء التعصب الأحادي النظرة حتى لدى الآخر المتفوق الذي يظن أنّه

مستغن بلغته ... ثم يدور به وبلغته الزمن فيأسى لذلك بعد فوات الأوان .. ".[٣] وهذه الظاهرة هي مدار هذا المقال، حيث يحاول إلقاء الضوء على ماهيتها وعوامل ظهورها وأنواعها، ثم طبيعها وفوائدها في نيجيريا، فموقف الشيخ الإلوري منها.

**تحديد الثنائية اللغوية**

"الثنائية" اسم مؤنث منسوب إلى "ثُناء" على وزن "فُعَال" وهو معدول عن اثنين اثنين، أي مثنى، أو ما كان له ركنان أو جزءان أو شقّان، ويستوي فيه المذكر والمؤنث، وهو ممنوع من الصرف، يقال: "جاءوا ثُناءَ" أي اثنين اثنين.[٤] والثنائية في علم الصرف هي كل ما تضمن حرفان من الألفاظ،[٥] وفي ذلك يقال إن الألفاظ العربية سواء أكانت أسماءً أم أفعالا لم توضع في الأصل ثلاثية، وإنما وضعت ثنائية، أي من حرفين قبل التوسع فيها بإضافة حرف ثالث.[٦] والمصطلح "اللغوية" اسم مؤنث منسوب إلى "لُغة" التي هي ظاهرة إنسانية ووسيلة لتبادل الأفكار والمشاعر، كالإشارات والأصوات وغير ذلك، مثل اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، واللغة الهوساوية، اللغة اليوروباوية واللغة الفرنسية وغيرها.

أمّا في الاصطلاح، فقد تباينت حوله أقوال اللغويين، فمن الغربيين من عرفها بأنها إجادة الفرد التامة للغتين،[٧] ومنهم من قال إنها امتلاك الفرد للحد الأدنى من مهارة لغوية واحدة في لغة ثانية.[٨] ومن تعريفاتهم لها أنّها هي القدرة في استعمال لغتين أو أكثر على وجه كاف عند الحوار.[٩] ومن ناحية اللغويين العرب فقد عرفها أحمد مختار عمر أنها "مصطلح يطلق على استعمال لغتين أو تعايشهما جنبا إلى جنب في مجتمع معيّن مثل بعض دول إفريقية التي تتكلم السواحلية والإنجليزية، أو السواحلية والفرنسية".[١٠] ونُقل عن إبراهيم خليل أن المصطلح يعني وجود لغتين متنافستين في الاستعمال تتمتعان بمنزلة واحدة من حيث الكتابة الرسمية والاستعمال الرسمي كما يلاحظ في الجزائر بين العربية

والفرنسية.[١١] وكتب محمود الزوادي أنّها "استعمال الأفراد للغتين مختلفين ليستا من أصل واحد مثلما هو الأمر في مجتمعات الوطن العربي حيث تستعمل اللغة الإنجليزية في الحديث والكتابة مع اللغة العربية في المشرق والخليج العربيين ...".[١٢].

فثنائي اللغة، انطلاقا من هذه التعريفات، وعلى ما رآه بعض اللغويين هو من يتكلم لغتين على مستوى واحد سواء أكان فردا أو جماعة.[١٤] وهذا يتماشى مع رأي القدامى من اللغويين الغربيين، وأمّا عند المحدثين فهو من له أدنى كفاءة في واحد من المهارات اللغوية الأربعة (النطق، الاستماع، القراءة، الكتابة) في لغة غير لغته الأولى، وقد يتفاوت مستوى المهارة بين لغة الأم واللغة الثانية.[١٥]

هذا، وثمة تباين بين الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية التي هي وجود لغتين من أصل واحد، إحداهما فصيحة وأخرى دارجة مثلما هو الأمر في اللغة العربية الفصحى والعاميات المحلية في المجتمعات العربية؛ إلاّ أنّ بعض الباحثين يطلقون على الثنائية اللغوية ويريدون بها ازدواجية، وبالعكس. ومن بين هؤلاء إميل بديع يعقوب، حيث عرّف الثنائية اللغوية بأنّها "حالة وجود لغة واحدة بمستويين مختلفين: واحد عاميّ، والثاني فصيح عند شعب ما"،[١٦] على أنّ المصطلح يرادف (Diglossia)، وعرّف الازدواجية اللغوية بأنها "وجود لغتين مختلفتين في فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد"،[١٧] على أنّها تقابل مصطلح (Bilingualism). وهذان المصطلحان الأجنبيان عند ترجمتهما إلى اللغة العربية فكأنهما يحملان معنى واحدا.

أمّا ما يُصطلح بتعدد اللغة فيستعمل عند الكثير مرادفا للثنائية اللغوية؛ وقد سبق ثنائية اللغة هي استعمال لغتين أو أكثر من أنظمة مختلفة. فهناك من يقول بثلاثية اللغة (trilingual)، ورباعية اللغة (quadrilingual) وسداسية اللغة (sextalingual)، فكلها مصطلحات تجمعها التعددية اللغوية أو الثنائية اللغوية.

## دواعي الثنائية اللغوية

إن الثنائية اللغوية أصبحت اليوم هي العادة في المجتمع الإنساني خلاف ما عُرف في القرون السابقة إذ العادة في الناس أحادية اللغة. فأصبح صعبا في هذه الآونة وجود بلاد من بلدان العالم التي تبقى أحادية اللغة، مثلما تقل الأفراد الأحادية اللغة في عالم اليوم. والظروف التي تسبب الثنائية اللغوية كثيرة، منها ما تلي:[١٩]

أ- الهجرة الجماعية: وتكون بهجرة الأفراد إمّا من القرى إلى المدن داخل البلاد لاكتساب المعيشة، أو من البلدان الأكثر فقرا إلى البلدان الغنية لأسباب اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، بحثا عن فرص اكتساب حياة طيبة. وهذه الحالة تؤدي إلى ضرورة تعلم لغة أهالي المدن أو البلدان المستقلة بحكم الاحتكاك المباشر بأفرادها.

ب- العقيدة والدين: تعتبر العقيدة من الدواعي المهمة لنشوء الثنائية اللغوية، من حيث إنّ العقيدة متى انتشرت، انتشرت معها لغتها التي جاءت بها إلى بلد أو بلاد. فكلما اعتنق أهل ذلك البلد أو تلك البلاد الدين التزم عليهم تعلم تلك اللغة، فتنشأ بذلك ثنائية اللغة كما هو شأن الإسلام واللغة العربية بين الأمم المسلمة.

جـ- الغزو والاحتلال: إنّ الغزو الذي تقوم بها أمة قوية على أمة ضعيفة واحتلالها يساهم بشكل كبير في نشاة الثنائية اللغوية، بحيث إنّ الغالبة أو المستعمرة تفرض لغتها على المغلوبة أو المستعمرة في إدارة البلاد المحتلة وفي مؤسساتها التعليمية. وذلك ظاهر كثيرا في البلدان الآسوية والأفريقية من فرض اللغات الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية على مستعمراتها.

د- المصاهرة والزواج: إنّ ظاهرة الزواج المختلط بين الشعوب المختلفة أو بين المختلف الألسن تؤدي إلى إنجاب أبناء من عشيرتين لغويتين مختلفتين، وينتج ذلك فعلا ظهور ظاهرة ثنائية اللغة لدى الأبناء وحتى لدى الآباء والأمهات.

**أنواع الثنائية اللغوية**

عرف اللغويون أنواعا متعددة للثنائية اللغوية لأن الظاهرة تظهر في كثير من المجالات الحياتية وفي جوانب متعددة من جوانب المجتمع، وقد تحدثوا كثيرا عن هذه الأنواع المختلفة والتي تدور حول الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه. وأما الأمور التي يعتمد عليها في تحديد هذه الأنواع هي درجة الإتقان والمستوى الذي تستخدم فيه، والمكان وتوزيع الاستخدام وطريقة التعليم والمهارة اللغوية والثقافية والإنجاز اللغوي والتوقيت والتوازن والاختيار. وفيما يلي تلخيص لأهم أنواع الثنائية اللغوية كما بيّنها اللغويون المحدثون:[٢٠]

أ- **الثنائية الفردية**: وهي التي تتعلق بالفرد بشكل خاص، يعرف لغتين معرفة متكافئة أو متفاوتة، وإذا كان الحديث يدور حول الفرد ولغتيه، فهي حديث من الثنائية اللغوية الفردية. وفي هذه الحالة تتم دراسة الثنائية اللغوية كظاهرة فردية. وإذا كان الفرد يملك ناصيتي اللغتين الأولى والثانية بحيث يستطيع استخدام كليهما بطلاقة ويسر، فهو يستعمل الثنائية اللغوية المتلازمة؛ يسمع اللغتين ويجيب بهما على السواء. أما إذا كان لا يقدر الحديث باللغتين بطلاقة، أي يتقن اللغة الأولى أكثر من الثانية، فإنه يستعمل الثنائية اللغوية المتركبة؛ يسمع الحديث ويجيب باللغة الأولى ويسمع بالثانية ولكن لا يستطيع الإجابة بها، فيترجم ما سمعه بالثانية إلى الأولى ويجيب بها.

ب- **الثنائية المجتمعية:** هي المتعلقة بالمجتمع، وتُدرس كظاهرة عامة في المجتمع حيث تتناول العوامل اللغوية المتصارعة في المجتمع وتفاعلاتها وتأثيراتها فيه. ويحتاج هذا إلى دراسة اللغات المستخدمة في المجتمع، فتُدرس لغة الأكثرية ولغة الأقلية لوضع سياسة لغوية ناجحة في التعليم، وفي كل وسائل الإعلام. وهذه الثنائية تشير إلى أن هناك لغتين أو أكثر تُستخدم في مجتمع ما، ولا تعني ضرورة استخدام كل فرد من أفراد المجتمع للغتين.

جـ- **الثنائية الأفقية:** وهي استخدام أفراد مجتمع ما لغتين مختلفتين بطريقة متساوية وبنفس المكانة الاجتماعية وعلى جميع المستويات الرسمية والشعبية والتعليمية. وهذا يعني وجود ثنائية لغوية أفقية في ذلك المجتمع لتساوي اللغتين في المكانة، وتناظرهما في الاستعمال.

**الثنائية اللغوية في نيجيريا**

تعد نيجيريا أكثر بلاد السود اكتظاظا بالسكان في العالم حيث يبلغ عدد سكانها حسب حصائية عام ٢٠٠٦م مائة وثلاث وتسعين مليون نسمة، ينتسبون إلى قبائل مختلفة متعددة تستخدم ما يزيد على خمسمائة لغة متباينة؛ ومن بينها ثلاث لغات قومية وأكثر استعمالا بين أهالي البلاد، منهم من يستعملها بوصفها لغات الأم ومنهم من تعلمها كلغة ثانية. وهي لغات التجارة والمشتركة في المناطق الثلاث الأساسية في البلاد – الهوسا في الشمال واليوربا في الغرب والإيبو في الشرق. ومن المعروف أن الاحتكاك الثقافي والتفاعل بين الشعوب أو القبائل المختلفة أمر اجتماعي يومي ينجم عنهما التأثير والتأثر بين لغات هذه القبائل، فتتعلم هذه القبيلة لغة تلك وبالعكس، وأصبح كثير من النيجيريين ثنائيي اللغة فضلا عن تعايش الشعوب والقبائل في المدن والقرى لمقاصد مختلفة متعددة.

وقد بلغ الأمر أن كثيرا من السكان يعرفون أكثر من لغة واحدة من لغات البلاد غير لغاتهم الأولى لكثرة التفاعل والتواصل بين الأفراد والقبائل، ويتكلمون بها بكل طلاقة ويُسر وبدرجة يصعب التفريق بين لغتهم الأصلية في المساواة. وفي الوقت نفسه تجد من المواطنين من لا يفهم غير لغته الأصلية، وذلك سائد في الأماكن الريفية وخاصة بين الذين لا يتّصلون بأقوام خارج بيئتهم. والعوامل التي أثّرت في الثنائية اللغوية في البلاد كثيرة يمكن الإشارة إلى بعضها في السطور التالية:

أ- **الهجرة:** هذا عامل مهم شجّع الثنائية اللغوية بين النيجيريين على اختلاف مكانتهم الاجتماعية. وقد قامت هجرات الأفراد والجماعات ولا تزال من مناطقهم الأصلية إلى الأخرى ومن قراهم إلى المدن ومن مدن إلى مدن ومن مدن إلى القرى طلبا لفرص التجارة والتكسّب أو التماسا لوسائل المعيشة الأخرى، واتخذوا مهجرهم مقرّا وتعلموا لغة أو لغات الجماعات المضيفة لهم.

ب- **المجاورة:** يقوم هذا العامل بدور مهم في نشوء الثنائية اللغوية في البلاد وخاصة بين القبائل المختلفة المجاورة حيث يكثر بين أفرادها التواصل وتبادل الزيارات والتعايش السلمي. فيتعلم أفراد هذه القبيلة لغة تلك وتلك لغة هذه؛ وكم من شعب أووري (Awori) وشعب نوبي (Nupe) يتكلم لغة اليوربا، وكم من شعب غواري (Gwari) وشعب كانوري (Kanuri) يتكلم الهوسا، ومثل هذا عميم بين النيجيريين.

ت- **التجارة:** من المعلوم أن عددا كبيرا من النيجيريين مقحمون في تجارة من نوع ما، وتتطلب هذه الحرفة إلى تناقلات من مكان إلى آخر بيعا وشراء، ومن خلال هذه الرحلات التجارية وعملية البيع والشراء في الأسواق، يتعلم التاجر لغة أو لغات زبائنه، وفي دورهم يتعلمون لغتهم.

ومن جانب آخر، يتعلم النيجيريون لغات أخرى تعد لغات أجنبية هي الإنجليزية العربية والفرنسية في أماكن مختلفة ولأغراض شتى. فالإنجليزية هي اللغة الرسمية التي فرضها المستعمرون على المواطنين منذ أن احتلوا البلاد، فأصبح ضروريا أن يتعلم المواطنون هذه اللغة للاندماج الاجتماعي وللمشاركة في عملية السياسة للبلاد. ويكثر استعمال هذه اللغة بين سكان المدن واليافعين حتى بلغ الأمر عند البعض أن لغاتهم الأصلية تنقرض في ديارهم، ويكثر كذلك في الأسواق والمدارس والمعاهد والمراكز الإدارية. وخلاصة القول أنّها لغة الحياة اليومية عند كثير من المواطنين النيجيريين.

أمّا العربية، فقد سبقت الإنجليزية دخولا في البلاد حيث أنها وصلتها قبل مجيئ المستعمرين بسنين، وبواسطة التجار من شمال إفريقيا أولا ثم الدعاة ثانيا.[٢١] وكانت بين مسلمي البلاد بمثابة لغة ثانية تعلموها وقتئذ قراءة وكتابة ونطقا لفهم مصادر الدين الإسلامي، إلى أن صارت لغة رسمية في شمالي البلاد مدة قبل استبدالها على أيدي المستعمرين باللغة الإنجليزية. وأصبحت تعلم هذه اللغة ضرورية بين المسلمين لأنها لغة القرآن ولغة يؤدي بها كل مسلم فرائض دينه، ولغة التعامل والتأليف والخطابة والتعليم والتعلم بين دارسيها في البلاد، والذين ساهموا بقسط لا يستهان به في تقدم مجتمعاتهم خاصة ووطنهم على وجه العموم. ويجدر الذكر أنّ استعمالها لغة ثانية يكثر في المدارس العربية ومعاهدها وفي الجامعات التي تدرس فيها وفي المؤتمرات والندوات في المعاهد التعليمية وبرامج أخرى.

**فوائد الثنائية اللغوية في نيجيريا**

إنّ لتعلم اللغات تأثيرا قويا في تكوين الشخصية الإنسانية، حيث إنّ ذلك يُكسب الفرد من مهارات معرفية مهمة للغاية، ويعود عليه بالنفع والفوائد أهمها ما يلي:

أ- إمكانية تحصيل الأموال: إنّ الإحاطة باللغة الثانية مثل العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية تفتح فرصا مهمة لأصحابها، فهناك العدد من الوظائف والمهن التي تعتمد على الثروة اللغوية للإنسان كالتعليم والترجمة وغيرهما مما يفتح بابا لمدخولات مالية على الإنسان؟

ب- زيادة المعرفة: إنّ ثنائية اللغة تزيد في الإنسان معرفته لثقافة القبيلة أو القبائل التي تعلم لغتها، وأحوالها وما يرضونها وما يكرهونها، وهذا قد يزيد التفاهم بينه وبين أفراد تلك القبائل.

جـ- تفاعل ميسر: معرفة اللغة الثانية تساعد الإنسان أثناء أسفاره وتنقلاته وتجارته في طول البلاد وعرضها حيث يمكنه الاتصال والتفاعل مع غيره في يسر لقضاء بعض حاجاته اليومية.

**موقف الشيخ الإلوري من الثنائية اللغوية**

إنّ للشيخ الإلوري موقفا إيجابيا نحو ظاهرة الثنائية اللغوية، لأنه في ذاته ثنائيّ اللغة من حيث أنه يجيد اللغة العربية وهي اللغة الثانية عنده بعد لغته الأصلية، وهو ثنائي متوازي لأنّ معرفته للغتين تبدو متساوية، ويفهم شيئا من الإنجليزية ما يمكّنه من قراءة الجرائد اليومية والمجلات، وما يأخذ به ويرد عند الحاجة.[٢٢] ويظهر هذا الموقف فيما يلي:

**موقفه من العربية:**

كان الشيخ يقف موقف المحامي المدافع من اللغة العربية في وقت اشتد فيه الصراع وحمي الوطيس بينها وبين اللغة الإنجليزية في هذه البلاد. في ذلك الوقت حاول فيه المستعمرون استبدال الإنجليزية مكان اللغة العربية التي كانت حينذاك لغة الإدارة والقضاء وخاصة في تلك المنطقة التي تعرف اليوم بشمال نيجيريا، وكما تستعمل في

مدارس قرآنية"في كثير من المدن الجنوبية في المساجد وبيت العلماء. وقد صوّر غلادنثي تلك الحالة حيث قال إنّ المستعمرين عندما أدركوا أهمية اللغة العربية في شمالي البلاد، فهي اللغة الرسمية والثقافة، حاولوا بكل ما استطاعوا من قوة أن يستبدلوا بها لغته. فجعلوا اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية، وصارت المكاتب والدواوين الحكومية تستعمل الإنجليزية بدلا من العربية. واستبدلوا كذلك الحروف العربية التي تُكتب بها اللغات المحلية وقتئذ بالحروف اللاتينية في المدارس. ومن معاندتهم للعربية حسب ما سجله غلادنثي أنّ حكومة المستعمر لم تضع في أول الأمر منهجا لها في مدارسها كما وضعت للمواد الأخرى، وأنّها لم تهتم بتدريب مدرسي اللغة العربية بينما كانت تدرب مدرسي المواد الأخرى، وأنّ الرواتب الشهرية لمدرسي العربية دون رواتب مدرسي المواد الأخرى.[٢٣] وصور الإلوري الحالة المماثلة في لَيْغَوْس في قيام رجال الكنائس باحتجاجات واعتراضات ضد المدرسة الإسلامية الحكومية التي أنشأتها الحكومة المستعمرة، حتى قضت المدرسة نصف قرن من الزمن ولم يتخرج فيها من يعرف العربية غلى المستوى الابتدائي، والسبب هو أنّ برامجها في الغالب إنجليزية.[٢٤] ولم يقف هذا الصراع عند ذلك، بل استمرّ إلى وقت إنشاء الجامعات في البلاد، حيث كان أوّل أمرها تُدرس اللغة العربية فيها باللغة الإنجليزية، حتى يتخرج فيها الطلب وهو حامل شهادة بكالوريوس ولا يقدر يتكلم باللغة العربية بطلاقة.[٢٥]

وفي تلك الحالة بدا الشيخ الإلوري كأنه شخّص اللغة العربية والتي تشتكي وتستنصر أنصارا لها ولم يجيبوها، وقد وجدت اللغة الإنجليزية أنصارا من أعداء الإسلام ومن بين بعض مدّعي الإسلام. وفي ذالك الوقت الحاسم، وقف الإلوري – بعد أن فشلت المحاولات مع جمعية أنصار الدين – كالمجاهد الوحيد من بين المقاتلين، وأسس بعون الله تعالى مركزه للتعليم العربي . وبعد برهة من الزمن أصبح المركز على عاتقه

وحده.[٢٦] فبمشيئة الله وحسن عونه، استقام المركز وأدّى واجبه – وما زال يؤدّيه – حق الأداء إلى اليوم. وعلى صدد هذا الجهد، كان ينتصر للعربية تعليما وتعلّما حتى أصبح بطلا في ذلك لا يخاف لومة لائم، ولا يخشى في نيل غرضه إلاّ الله الواحد القهّار. وفي هذا الموقف نادى الإلوري بلسانه وقلمه إلى الأمور الآتية:[٢٧]

أ- أن يتعلم كل مسلم اللغة العربية إذ هي جزء لا يتجزأ من الإسلام، بوصفها لغة القرآن الكريم، أو أن يتعلم كل مسلم منها على الأقل ما يؤدّي به فرائضه من الصلاة، وقراءة كتاب الله، وغير ذلك.

ب- أن يحتفظ كل مسلم بشرف اللغة العربية؛ فقد شرفها الله تعالى بحفظ القرآن الكريم.

جـ- أن يتحمّس علماء الإسلام للعربية ويعتزّوا بها حيث وجدوا أنفسهم، وأن يدافعوا عنها بكل ما لديهم من قوة ومن رباط الخيل.

د- أن يتعلم الدعاة الأعاجم اللغة العربية بإتقان من أجل الدعوة إلى الله وإلى رسوله.

هـ- ألا تجرد اللغة العربية عن الإسلام واعتبارها لغة من لغات العالم كاللغات الإنجليزية، والفرنسية والألمانية وغيرها، وذلك لأنّ العربية نالت القدسية الرحمانية لم تنلها ولن تنالها أية لغة أخرى.

و- ألا يعرض أيّ عالم أو إمام عن اللغة العربية بعد أن شرّفه الله تعالى بها بين جماعته، وعاش بحرمتها حياة طيّبة؛ وذلك بعدم تشجيع أولاده في تعليمها.

**موقفه من اللغة الإنجليزية**

إنّ الشيخ الإلوري بوصفه بطلاً من أبطال اللغة العربية في هذه البلاد وخارجها، لم ينكر تعليم اللغة الإنجليزية والمواد التي ترافقها في مناهج المدارس. فقد دعا إلى ثنائية التعليم حيث يكون هناك مدارس إنجليزية أو فرنسية تثقف المواطنين وتؤهلهم للوظائف

الرسمية والمناصب المدنية، ومدارس أخرى عربية تؤهل المتخصصين للمناصب الدينية، والسابق بمنزلة فرض عين على كل مسلم، والأخير بمنزلة فرض كفاية، إلا أنه من الضرورة أن يتعلم المسلم من العربية ما يقيم به دينه كما سبقت الإشارة إليه.[٢٨] ولكن الإلوري كان يفضل اللغة العربية وتعليمها على اللغة الإنجليزية؛ فكيف لا يفضل؟ فقد كان يرى – وهذه حقيقة – أن العربية لغة دين ودولة، وخير اللغات كلها بخلاف الإنجليزية التي هي لغة دولة فقط. وقضية الترجيح بين اللغتين أو اللغات عند ثنائي اللغة من المجالات التي يبحث فيها اللغويون، وخاصة عند التعبير عن الإفعالات النفسية.[٢٩] ولذلك لم يندم على عدم تبحره في الإنجليزية، فقد قال: "أستغفر الله وأحمده وأشكر آباءنا الذين منعونا من دخول المدارس الإنجليزية، بل أجبرونا على تعلم العربية مع كثرة مشاكلها وعقباتها وعراقيلها ..."، إلى قوله: "فلا نعود اليوم نندم على ما فرطوا في جنب الله، بل نظل على العهد والميثاق الذي تعهدنا. وهو التزود بالإنجليزية لاستعمالها عند الضرورة".[٣٠]

ويلاحَظ في هذه اللحظة أنّ موقف الإلوري من الإنجليزية يخالف موقفه من العربية، ويؤيد هذه المقولة كثرة انتصاره للعربية دون الإنجليزية. ويظهر ذلك واضحا عند إنشاءه لمدرسة مسائية باتفاق مع جماعة أنصار الدين، وجعلها التعليم العربي بحتا دون مزجه بالتعليم الإنجليزي إلى أن خرت بعد أربع سنوات.[٣١] وكذلك لم يدخل الإلوري اللغة الإنجليزية في مركزه بعد إنشاءه، ولم يسنده إلى الحكومة التي كانت تدعي العلمانية نفاقا. وهذا حاصل عن رؤيته أنّ الإنجليزية لغة طاغية تطغى دائما على العربية، حيث صارت لغة الشوارع، والأسواق، والإدارة و المدارس.[٣٢] ومن خلال موقفه من الإنجليزية يتبين الأمور التالية:

أ- أنّ الإلوري لم يكن ينكر مكانة اللغة الإنجليزية بصفتها لغة الثقافة ولغة عالمية.

ب- إنّه لم يحرم تعليم اللغة الإنجليزية ولا تعلمها ولم يكرهها، فقد عرف منها ما أغناه لقراءة المجلات و الجرائد اليومية، كما أنّه كان يأخذ ويرد بها عند الحاجة. وأذن لتلاميذه تعليم الإنجليزية في الجامعات بعد أن نالوا ما شاء الله من العربية.

جـ- إنّه كره فقط أن يمتزج التعليم العربي بالتعليم الإنجليزي في برامج مركزه تعصبا للعربية. ولذلك رد على الذين يطالبونه بادخال التعليم الإنجليزي في برامج المركز أن يطالبوا بادخال التعليم العربي في برامج المدارس الإنجليزية، وإلاّ، فهم ظالمون للعربية.

د- أنّه لا ينبغي لمسلم أن يفتخر باللغة الإنجليزية دون العربية بحال.

هـ- أنّ معرفة اللغة الإنجليزية قد تكون سببا لمعرفة الإسلام بواسطة الكتب المترجة إليها.

و- أنّ الجهل باللغة الإنجليزية وحدها لا يكفي أن يُترتب به المرأ في صفوف الجاهلين، لأنها مجرد لغة من بين اللغات الراقية المتعددة في العالم من أمثال العربية، والفرنسية، والألمانية، والصينية، واليابانية وغيرها.

## موقف الإلوري من اللغات القومية

إنّ اللغات القومية أو اللغات الأصلية في البلاد خاصة وفي إفريقية والعالم عامة لها مكانتها وأهميتها عند أصحابها، حيث هي أداة التواصل والتفاهم بينهم. فلا ينبغي التهاون بها ولا استخفاف بشأنها ولا احتقارها أمام لغة ما دامت هي لغة حية. وقد اعترف الإلوري بهذا الشأن حبث بيّن أنّ اللغات الأفريقية كالهوساوية والسواحلية واليورباوية والفلانية لها أهميتها في بلادها، وبيّن كذلك أنّ المستعمرين كانوا يخصصون في جامعاتهم أقساما لتعليم وتعلم لغات البلاد المستعمرة لهم، وأنّ المبشرين المسيحيين

كذلك يتعلمون هذه اللغات ويهتمون بها ويترجمون إليها أناجيلهم وبعض كتيّبات القصص والمنشورات الأخرى.[٣٣]

وكان الإلوري يقدر شأن هذه اللغات لأن معرفتها وسيلة نافعة وخاصة للدعاة، ولذلك كان يفضل أن يؤدي الدعاة مسؤوليتهم الدعوية بلغاتهم الأصلية متى كانوا مع قومهم، وهو المشار عليه في قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم."[٣٤] ويرى أنه من باب الوجوب أن يتعلم كل داعية لغة الذين يريد أن يدعوهم إلى الإسلام، فالذي ينوي مبادرة الدعوة أن يتقن لغته الأصلية ولغة من أراد أن يدعوه.

**فوائد الثنائية اللغوية لدى الإلوري**

للثنائية اللغوية فوائد كثيرة للأفراد والمجتمع كما سبقت الإشارة إليه. وإمعان النظر إلى موقف الشيخ الإلوري من هذه الظاهرة يظهر اعترافه بذلك. وفيما يلي تلخيص لفوائد الظاهرة عند الشيخ:

- من جانب العربية؛

أ- معرفة اللغة العربية بصفتها لغة ثانية أو ثالثة يسهّل للمسلم معرفة شرائع دينه بدقة، ويعرف كل ما يؤدي به واجبه اليومية نحو ربه.

ب- تعلم اللغة العربية يجعل المرء قادرا على تحمل المسؤوليات الدينية الاجتماعية كالإمامة وغير ذلك.

جـ- اللغة العربية مورد اقتصادي للذين يتخذون التعليم حرفة في المدارس والمعاهد والجامعات.

د- تفيد الداعية مباشرة المصادر الأولية التي تعينه لمباشرة عملية الدعوة بلغته الأصلية أو اللغة العربية كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

**من جانب الإنجليزية؛**

هـ- اللغة الإنجليزية تستخدمها الجمعيات الإسلامية لتبليغ الدعوة إلى مختلف الاجناس والقبائل.

و- اللغة الإنجليزية ضرورية من ضروريات الحياة اليومية وخاصة في البلاد التي أصبحت فيها هذه اللغة لغة رسمية ولغة الشوارع والأسواق.

ز- وسيلة لإحاطة ما يجري في البيئة المباشرة وما بعدها عن طريق قراءة الأخبار والجرائد والمجلات اليومية والأسبوعية والدورية.

ح- أداة مهمة لمعرفة الدين الإسلامي عن طريق مطالعة الكتب الدينية المترجمة إليها.

**خاتمة**

الثنائية اللغوية ظاهرة لغوية لفتت أنظار اللغويين منذ منتصف الخمسينيات للقرن العشرين، فأجريت عليها بحوثا متعددة في الغرب ووضعت لها مصطلحات. وما زال اللغويون على تباين خلفياتهم يبحثون فيها من حيث أهميتها وفوائدها وتأثيرها وعوائقها للفرد والمجتمع. ولقد حاول هذا المقال دراسة هذه الظاهرة في نيجيريا، وما يترتب عليها من فوائد، ثم حاول الوقوف على موقف المرحوم العالم العلامة الشيخ آدم عبد الله الإلوري منها. ونتيجة الدراسة تشير على أن ظاهرة الثنائية اللغوية جزء لا يتجزء من البلاد لدوام احتكاك الشعوب المختلفة في صحبة لغاتهم المتعددة، ووجود لغات دخيلة التي أصبحت تعليمها وتعلمها فرض عين أو كفاية. ونتج عن الدراسة أيضا أنّ للشيخ الإلوري موقفًا إيجابيًا من تعلم اللغات لمقاصد متباينة، وفي الأخير أورد المقال ما استنبطه من موقف الشيخ من تعلم العربية والإنجليزية واللغات القومية والأصلية مذيّلا ذلك بفوائد كل منها.

**الهوامش**

١- إبراهيم أنيس، **اللغة بين القومية والعالمية**، القاهرة، دار المعارف، (دون التاريخ)، ص ١١.

٢- سورة الروم: الآية ٢٢.

٣- نهاد موسى، **اللغة العربية في العصر الحديث: قيم الثبوت وقوة التحوّل، عمان**، دار الشروق، ٢٠٠٧م، ص ١٥١.

٤- إميل بديع يعقوب، **موسوعة علوم اللغة العربية**، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م، ص١١.

٥- راجي الأسمر، **معجم الفصل في علم الصرف**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ص ١٩٩ .

٦- محمد سليمان عبد الله الأشقر، **معجم علوم اللغة العربية**، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٩٥م، ص ١٥٩.

7- Bloomfield, L. Language. New York: Holt, Rinehart and Winston,1933. P.132.

8- Macnamara, J. "The Linguistic independence of bilinguals", Journal of Verbal Learning and verbal Behaviour, (1967). 6, PP. 719-736.

9- Carol Myers-Scotton. Multiple Voices: An Introduction to Bilingualism. Blackwell Publishers. 2006. P. 144.

١٠- أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ص ٣٣٣.

١١- عيده الجهني، الثنائية اللغوية،

الموقع: arab426.blogspot.co.ke/2011/04/blog-post_30.html?m=1=1

١٢- محمود الزوادي، ظاهرة الثنائيات اللغوية في الوطن العربي، الموقع:
arabaffairsonline.org/article.php?p-201 .

١٣- مجدي وهبة وكامل مهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص ١٣١.

14- Jean-Marc Dewaele. The International Encyclopedia of Language and social Interaction. John Wiley and Sons Inc. 2015. P.1.

١٥- إميل بديع يعقوب، المرجع السابق، ص ٢٠.

١٦- المرجع نفسه، ص ٣٧٨.

١٧- إبراهيم كايد محمود، "**اللغة العربية الفصحى بين الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية**"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، المجلد الثالث، العدد الأول، (مارس ٢٠٠٢م). ص ٥٣-١٠٨.

١٨- انظر: إبراهيم كايد محمود، المرجع نفسه.

١٩- المرجع نفسه.

٢٠- انظر: أحمد سعيد غلادنثي، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، القاهرة، المكتبة الإفريقية، ١٩٩٣م، ص ٤٦.

٢١- انظر: آدم عبد الله الإلوري، **الصراع بين العربية والإنجليزية في نيجيريا**، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٠م، ص ٢٢.

٢٢- انظر: أحمد سعيد غلادنثي، المرجع السابق، ص ٨٠-٨٣.

٢٣- آدم عبد الله الإلوري، المرجع السابق، ص ١٠-١١.

٢٤- انظر: آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا**، ليغوس، شركة دار النور للطباعة والنشر، ٢٠٠٩م، ص١٧٠.

٢٥- انظر: آدم عبد الله الإلوري، الصراع بين العربية والإنجليزية في نيجيريا، المرجع السابق، ص ١٢-١٥.

٢٦- انظر في كتابه "**الصراع بين العربية والإنجليزية في نيجيريا**".

٢٧- انظر: آدم عبد الله الإلوري، **الإسلام في نيجيريا والسيخ عثمان بن فوديو الفلاني**، ليغوس، مطبعة الثقافة الإسلامية، ١٩٧٨م، ص ١٥٣.

28- Jean-Marc Dewaele. Ibid. p. 8.

٢٩- آدم عبد الله الإلوري، **الصراع بين العربية والإنجليزية في نيجيريا**، المرجع السابق، ص ٢١.

٣٠- المرجع نفسه، ص ١٢.

٣١- المرجع نفسه، ص ٢٥.

٣٢- المرجع نفسه، ص ٢٧.

٣٣- سورة إبراهيم: الآية ٤.